فكاهات

شرلوك هولمز [1]

— ١١ —

كؤوس الخمر الثلاث

في صبيحة ليلةٍ باردة من شتآء ١٨٩٧ بينما كنت نائماً اذا بصوتٍ يناديني ويدٍ تهزّني فاستيقظت فوجدت شرلوك حاملاً مصباحهُ بيـدهِ وهو يقول قم يا وطسن واتبعني حالاً ولا تضع الوقت بالسؤال فان امامنا عملاً خطيراً على ما أظن. فنهضت للحال ولم تمرّ عشر دقائق حتى كنت واياهُ في مركبة اقلتنا الى المحطة حيث تناولنا كأساً من الشاي ثم ركبنا القطار الذي يقلّنا الى كِنت . فلما اخذنا مكاننا منهُ اخرج شرلوك من جيبهِ رسالة قرأها علناً فاذا فيها ما يأتي

« من مرشام (كِنت) الساعة الثالثة والنصف صباحاً »

« عزيزي شرلوك . ارجو مساعدتك فوراً في امر مهم الى الغاية لا اشك في انهُ يروقك . وسأبقي كل شيء في مكانهِ كما وجدتهُ الا السيدة لكي تفحص بنفسك فارجو ان لا تضيع دقيقةً واحدة لانهُ لا يمكن ابقآء السير اوستاس هنالك »

« ستانلي هوبكنس »

ولما أتمّ قرآءتها قال ان صديقنا هوبكنس قد استدعاني عدة مرار وكانت دعوتهُ في جميعها مهمة وذات نتيجة كنت اسرّ بها لاحتوآئها على ما يهمني في صناعتي . وفي دعوة اليوم ما يشير الى حدوث قتل ويغلب على ظني ان القتيل هو السير أوستاس براكنستال فانهُ هو صاحب القصر المطبوع اسمهُ على رسالة هوبكنس

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وان ما في كتابة الرسالة من التسرع والارتباك مع ما اعلم في طبع هوبكنس من السكينة والاناة يدل على ان في الامر جناية فظيعة وانهُ ترك الجثة حيث هي لنراها. ويظهر لي ان الجناية حصلت قبل نصف الليل لانهُ لا بدَّ ان يكون قد حضر الشحني المحلي الى مكان الحادثة ثم اخبر دار الشحنة في لندن فذهب هوبكنس بنفسهِ واستدعاني من هناك وهذه الحركة لابد ان تستغرق ما يزيد على اربع ساعات

ولما بلغنا الى محطة شزلهرست نزلنا واخذنا مركبة اقلتنا الى القصر المقصود ففتح لنا باب الحديقة رجلٌ مسنٌّ عليهِ علامات الحزن الشديد والرعب فدخلنا الى حديقة حافلة سرنا بين صفين من اشجارها حتى انتهينا الى القصر وكان هوبكنس ينتظرنا على بابهِ . فقال اني اشكر اجابتكما طلبي بهذه السرعة ولو علمت ما علمتهُ قبل ارسال الدعوة لما كلفتكما المجيء في هذا البرد القارس اذ ظهر ان الامر بسيط ليس فيهِ ما يستوجب اهتمامك ايها العزيز شرلوك . وذلك انك ولا بد قد سمعت بالشرير رندل وولديهِ وما فعلوهُ في سيدنهام منذ اسبوعين فانهم قد جآءوا هذا القصر للسلب وقتلوا السير اوستاس فني هذه المرة لا ينجون من المشنقة . وقد قتلوا السير المذكور بضربة شديدة على امّ رأسهِ اطارت دماغهُ اما اللادي زوجتهُ فقد شاهدت في هذه الليلة ما تركها كالاموات وربما فقدت المسكينة شعورها بعد تلك الاهوال غير انني ارى الافضل ان نقابلها معاً وتسمع من فيها تفاصيل الحادثة. ثم قادنا هوبكنس الى غرفة اللادي فوجدناها فتاةً لا يعيب جمالها سوى اصفرار وجهها وآثار الشجون التي ولا بدَّ قد حصلت من هول ما اصابها وكانت ملقاةً على مقعدٍ وعلى حاجبها الايمن آثار رضة قوية وكانت خادمتها مكبة فوقها تضع لها الضمادات والمكمدات . فلما رأتنا نظرت الى هوبكنس وقالت قد اخبرتك بكل شيء فهلا وفَّرت عليَّ اعادة هذا الحديث ونبت عني في تلاوتهِ على السيدين القادمين . قال لا بأس يا سيدتي فاني افضل ان يسمعا الحديث منكِ . فأطرقت حيناً ثم تنهدت واخذت في حديثها فقالت

اني زوجة السير اوستاس براكنستال وقد اقترنت بهِ منذ سنة. ولا انكر ان

معيشتنا الزوجية لم تكن مرضية وربما كنت انا المخطئة في عدم وفاقنا لانني ربيت في جنوبي استراليا حيث الحرية التامة ولم اعتد قوانين السلوك المصطلح عليها في هذه النواحي . اما السبب الصحيح فهو كما يعرف الجميع ان زوجي يتعاطى المسكر فلا اراهُ مرةً الا ثملاً فاقد الرشد فهل تتصورون حالة امرأة مثلي مسجونة في هذا البيت مع رجل لا ينقطع عن الشرب ليلاً ولا نهاراً فلا استطيع ان احادثهُ ولا ان اسرّ بمعاشرتهِ . وقد كان من الواجب ان لا تكون قيود الزواج محكمة العرى كما هي في شريعتنا لان الطلاق بل الانتحار ايضاً افضل من الارتباط بمثل هذه المعيشة . ولكن ما لنا ولذلك فلنعد الى ما كان من حادث امس . ان جميع الخدم ينامون في الجانب الآخر من هذا القصر ولا ينام في هذه الجهة الا انا وزوجي وخادمتي الامينة تريزا هذه فغرفتها فوق غرفتي وتحتنا غرفة الطعام وغرفة الاستقبال وما يجاورها. فاذا جاء وقت النوم وتفرق الخدم لا يعود في الامكان استدعاؤهم مهما حصل لبعد المسافة ولا بد ان يكون اللصوص قد عرفوا هذه الحقيقة حتى فعلوا ما فعلوا بدون خوف من احد . وقد نام زوجي امس الساعة العاشرة والنصف وانصرف الخدم الى محلاتهم وذهبت تريزا الى غرفتها اما انا فكنت اقرأ في غرفتي هذه الى الساعة الحادية عشرة . وكانت عادتي ان اطوف قبل النوم فاتفقد الغرف بنفسي لاني كما اسلفت لم اكن اعتمد على زوجي فان سكرهُ كان ينسيهِ حتى نفسهُ فذهبت الى المطبخ فغرفة المؤونة ثم الى غرفة السلاح وغرفة التدخين وغرفة الاستقبال وبلغت غرفة الطعام فوجدت نافذتها الكبيرة لا تزال مفتوحة ينفخ الهواء من ورآء ستائرها الثقيلة . فاقتربت لاقفلها ولما رفعت الستارة وجدت امامي رجلاً متقدماً في السن كبير الجسم عريض المنكبين وورآءهُ رجلان اصغر منهُ سناً وافظع منهُ شكلاً . رأيت كل ذلك بلمحة سريعة على نور الشمعة التي كانت بيدي فهالني المنظر ورجعت خطوتين الى الورآء واذا بالرجل قد وثب على عنقي فحاولت الاستغاثة فلطمني بقبضتهِ على حاجبي الايمن وسقطت الى الارض فاقدة الشعور . ولما افقت وجدت انهم قد قطعوا حبل الجرس واوثقوني بهِ الى كرسي كبير في تلك الغرفة

امام المائدة وكان الرباط شديداً جدًّا وقد وضعوا في فمي منديلاً فلم استطع الحركة ولا الكلام . ويظهر ان زوجي المسكين سمع شيئاً من تلك الحركة فنهض من نومهِ واخذ عصاهُ بيدهِ وجآء الى الغرفة فلما دخل رأى واحداً من اولئك الملاعين فهجم عليهِ ولكنهُ لم يبلغهُ حتى كان كبيرهم قد مد يدهُ فاخذ القضيب الحديدي الذي نستعملهُ لتحريك النار وضربهُ بهِ ضربةً قوية على ام رأسهِ فسقط الى الارض بدون كلمة ولا حركة . فلما رأيت ذلك فقدت رشدي ثانيةً ولما افقت رأيتهم قد جمعوا الآنية الفضية واخذوا زجاجة خمر فتحوها فشرب كلٌّ كاساً منها وجعلوا يتكلمون همساً وقد استدللت مما ظهر لي منهم انهم ابٌ وولداهُ . ثم اقتربوا مني فتعهدوا وثاقي وبعد ذلك خرجوا من النافذة واقفلوها ورآءهم . اما انا فحاولت جهدي حتى تمكنت بعد ربع ساعة من اخراج المنديل من فمي وجعلت استغيث فسمعت خادمتي تريزا واسرعت اليَّ وبعد قليل استدعت الخدم فذهب بعضهم لاحضار الشحنة وهؤلآء استدعوكم من لندن . فهذا كل ما جرى وكل ما اعلم وارجو ان لا اضطر مرةً اخرى الى اعادة هذا الحديث المؤثر المخيف

وكان شرلوك يسمع باصغآء تام فقال اظن يا مولاتي اننا لا نكدركِ باعادة هذا الحديث الا بعد ان افحص الغرفة التي حصلت فيها الجناية ولكن هل تعرف خادمتكِ شيئاً غير الذي سمعناهُ . فقالت الخادمة رأيت الرجال قبل دخولهم المنزل من نافذة غرفتي على نور القمر وكانوا خارج سور الحديقة فلم يهمني امرهم ولكنني سمعت بعد نحو ساعة صراخ مولاتي فاسرعت اليها ووجدتها كما ذكرت ورأيت زوجها ملقى كما لا يزال حتى الآن وقد تغطت الارض التي سقط عليها بدماغهِ ودمهِ . فقال هو بكنس هلمَّ بنا الآن لنرى غرفة الطعام فخرجنا ورأيت ان آثار الاهتمام قد بدأت تزول من وجه شرلوك لانهُ ان لم يكن في الحوادث اسرارٌ غريبة فهو لا يرى فيها ما يلذهُ ولم يكن في المقتل سرٌّ غريب وقد عرف هو بكنس القتلة فصار القآء القبض عليهم من واجبات رجال الشحنة ولذلك كان يتبع هو بكنس بدون اكتراث . وبلغنا غرفة الطعام فرأيناها كبيرة واسعة في صدرها نافذة كبيرة

والى جانبها ثلاث نوافذ اصغر منها . والى الجهة الاخرى مستوقد كبير عليهِ اطار مرتفع من الخشب المنقوش والى جانب المستوقد كرسي كبير رأينا عليهِ حبلاً احمر معقوداً في عدة محلات منهُ لانهم لما اخرجوا اللادي منهُ لم يحلوا جميع عقدهِ . وكان امام المستوقد جلد نمر كبير وعليهِ جثة السير اوستاس وهو في الاربعين من العمر طويل القامة قصير اللحية اسود الشعر وكان ملقى على ظهرهِ ووجههُ منحرف الى جهة الباب والى جانبهِ عصاً متينة من الزعرور . اما رأسهُ فكان مشقوقاً شقاً كبيراً تطاير منهُ الدماغ حتى الى الحائط وكان بجانبهِ القضيب الحديدي الذي ضرب بهِ وقد اعوجّ طرفهُ من شدة الضربة . وكان شرلوك يلاحظ كل ذلك بانتباه ودقة فقال يظهر ان لرندل قوة غريبة تدل عليها هذه الضربة ومع ذلك فالامر واضح ولا ارى اقل صعوبة في امساكهِ . فقال هوبكنس نعم فقد بلغني ان اولئك الاشرار يقصدون السفر الى اميركا فارسلت الاخطارات اللازمة الى جميع الطرق ولذلك يستحيل خروجهم من انكلترا بامان

وكان شرلوك يسمع الحديث وقد جثا امام الكرسي يفحص عقد الحبل الاحمر الذي كانت اللادي مقيدة بهِ ثم عاد الى الجرس الذي قطع منهُ الحبل ففحصهُ ايضاً وقال لا بدّ ان للصوص خبرة تامة باحوال البيت والا لما تجاسروا على قطع الحبل بجذبهِ كما فعلوا فان ذلك يقرع الجرس وينبه الخدم لو كانوا بالقرب من الغرفة ويترآءى لي ان بينهم وبين احد الخدم اتفاقاً على هذا العمل ولم يكن من المستبعد في ظني ان تكون تريزا موافقة لهم لو لم يكن في هذا الظن ما يجرح صدق رواية اللادي سيدتها . ولكن هل تحققتم قيمة الآنية المسروقة . فقال هوبكنس لم يأخذوا شيئاً لهُ قيمة كبيرة واظن ان مقتل السير اوستاس رعبهم حتى نسوا الغرض الذي اتوا من اجلهِ . فقال شرلوك بتهكم اجل ومع ذلك فقد فتحوا زجاجة خمر وشربوا ثلاث كؤوس منها . ولما قال هذا اقترب من مائدة عليها الزجاجة والكؤوس الثلاث وجعل يفحصها بدقة فوجد في كل كاس قليلاً من الخمر وفي الكاس الثالثة شيئاً من الغبار وأجنحة ذباب . وكانت الزجاجة بالقرب وقد سقطت سدادتها الى جانبها

فاخذ شرلوك السدادة وتأملها هنيهةً ثم قال اني ارى فيها اثر ثلاث وخزات عميقة فيغلب على ظني انهم فتحوها بسكين كانت مع احدهم والاغلب انها من سكاكين النوتية التي تحتوي على عدة ادوات . ولكن هذه الكؤوس تشغل فكري غير ان الامر واضح لديك ايها العزيز هوبكنس ولا تحتاج الى مساعدتي فانت تعرف غرمآءك فجدَّ في اثرهم وعسى ان اهنئك قريباً حين تلقي عليهم القبض

ثم خرجنا وتركنا هوبكنس وعدنا كما جئنا ولكنني رأيت شرلوك قلقاً جدًّا كمن تنتابهُ الافكار المتفرقة فعلمت انهُ راى في تلك الحادثة غير البساطة التي ذكرت وكأن فطنتهُ الغريزية كانت تدفعهُ الى زيادة البحث وتدقيق الفحص. وبلغ بنا القطار محطةً في نصف الطريق فوقف وقبل ان يعاود المسير وثب شرلوك الى الرصيف وجذبني معهُ فتبعتهُ وقد استغربت عمل صديقي هذا ولكنهُ نظر اليَّ بلطف وقال اعذرني يا وطسن فانني لا استطيع كبح جماح افكارٍ تسلطت عليَّ لان كل حاسة فيَّ تنبهني الى ان الامر ليس كما رايناهُ . اجل ان رواية اللادي كانت طبيعية وتصديق الخادمة لها لا يحتمل التأويل ولكنني لو بحثت عن هذه الحادثة قبل ان سمعت الرواية لرايت غير ما راينا فلا بدَّ من رجوعي لاتحقق بعض الامور وسننتظر عودة القطار الثاني لنذهب فيهِ . وانا اعرض عليك الآن بعض ظنوني فقل لي ما ترى فيها . ان اللصوص المتهمين قد ارتكبوا جناية منذ اسبوعين في سيدنهام فكتبت جميع الجرائد عن عملهم ووصفتهم وصفاً مدققاً فلا يبعد ان يكون الوصف الذي ذكرتهُ اللادي مبنيًّا على ما قرأتهُ في الجرائد لا على مشاهدتهم حقيقةً . ثم انهُ لا يعقل ان عصابةً من اللصوص ترتكب جريمةً وتفوز بارباحها الطائلة ثم تعود بعد اسبوعين فقط لارتكاب جريمة اخرى قبل ان تنسى الشحنة امرها الاول . ثم انهُ لا يعقل ايضاً ان يكون اللصوص قد ضربوا اللادي على حاجبها لكي يسكتوها لان هذا العمل يحملها على زيادة الصياح . وفوق ذلك فان عددهم اكثر وهم اقوى فلم يكن موجب لقتل السير اوستاس بل كان في امكانهم تقييدهُ ايضاً كما فعلوا بزوجتهِ . واغرب من كل ذلك ان يفتح ثلاثة لصوص اقوياء زجاجة من الخمر فلا

يشربوا الا اقل من نصفها . ثم اني اعجب من تقييد اللادي الى الكرسي واعجب اكثر من ذلك من مسالة الكؤوس الثلاث وهذا وحدهُ يحملني على العود الى فحص الحادث . فقد قيل لنا ان الاشخاص الثلاثة شربوا من الخمر كلٌّ بكأسهِ واذكر الآن ان كأسين كان فيهما اثر الخمر اما الثالثة فكان فيها شيء من الخمر تعاوهُ اجنحة ذباب وغبار فلا يمكن ان يكون الشاربون ثلاثة . وليس لهذا العمل الا تأويل واحد وهو ان الخمر سكبت في كأسين ثم وضع عكرها في الكأس الثالثة ليتوهم من ذلك ان ثلاثة اشخاص شربوا بثلاث كؤوس . واذا تحققت هذا الدليل ثبت لنا ان اللادي براكنستال لم تقل الحقيقة وانها وخادمتها متفقتان على كتمان الامر بتدبير يعجز عنهُ امهر الدهاة لاخفآء القاتل الحقيقي واذا كانت هذه غايتهنَّ فمن المحال ان ننتظر حلاًّ منهنَّ وعلينا ان نبحث عن الحقيقة بنفسنا

وجآء القطار الذي يعود الى شزلهرست فركبناهُ ولما بلغنا المنزل تعجب الجميع من رجوعنا السريع وكان هو بكنس قد ذهب لابلاغ تقريرهِ الى الادارة . فدخل بي شرلوك الى الغرفة التي حصلت فيها الجنـاية واقفل الباب من الداخل فقضى ساعتين في البحث والتنقيب . اما انا فكنت اتبعهُ والاحظ اعمالهُ كتلميذٍ ينظر الى استاذهِ ليستفيد من كل حركةٍ يجريها . وكانوا قد نقلوا الجثة فدار شرلوك يفحص النافذة والستائر والبساط والكرسي والحبل ثم وثب فجأةً الى راس الاطار الخشبي الذي فوق المستوقد وجعل يفحص بقية حبل الجرس حيث قُطع ولكي يراهُ عن قرب اسند رجلهُ الى رفٍّ خشبي في الحائط ولكنهُ ما كاد يفعل ذلك حتى وثب ثانيةً الى الارض وقد بانت على وجههِ علامات الارتياح فقال لقد صدق ظني يا وطسن فاؤكد لك ان الامر في غاية الغرابة والدقة وكنت قد كدت اترك الاهتمام بهِ فقد استفدت من هنا ان لا استخفّ بشيء البتة . واذ ذاك فلا لصوص في الامر ولكن هناك رجلٌ واحد جسور قوي تدل على قوتهِ ضربتهُ للسير اوستاس فانها عوَّجت القضيب الحديدي كما رايت وهو يزيد على ستة اقدام طولاً خفيف الحركة جدًّا سريع الخاطر لانهُ في لحظةٍ لفَّق الرواية التي حكتها لنا اللادي . وقد

رايت في حبل الجرس دليلاً آخر وهو انهُ لو كان مقطوعاً بجذب اليد لوجب ان ينقطع من حيث هو مربوط بالجرس او من اضعف موضع منهُ ولكنهم في قطعهم اياهُ قطعوهُ من امتن محل فيهِ بسكين كما رايت لما صعدت فوق المستوقد وذلك يدل على انهم احتاجوا الى الحبل وخافوا ان جذبوهُ ان يقرع الجرس وينبه الخدم فصعد الرجل كما صعدت انا الآن وقطعهُ بسكينه ومن ارتفاع مكان القطع عرفت طول الرجل وانهُ اعتمد برجلهِ على هذا الرف الخشبي حيث لا يزال الاثر مرسوماً على الغبار الذي عليهِ . ثم انظر الى الكرسي تجد عليهِ نقطة دم تكذّب رواية اللادي لانهُ لو صحّ ما قالتهُ انهم قتلوا زوجها بعد تقييدها على الكرسي كيف امكن ان تصل نقطة الدم الى تحتها فلا بدَّ اذاً انها قُيّدت بعد قتل زوجها ولو فحصنا ثوبها الذي كانت مرتدية بهِ لوجدنا اثر هذه النقطة

وبعد ان اتم شرلوك ذلك خرجنا من الغرفة فرأينا الخادمة تريزا فجعل شرلوك يحادثها بدهآئهِ المعهود فعلم منها انها كانت تكره سيدها كراهةً شديدة لانهُ كان يضايق زوجتهُ ويسيء معاملتها وعددت اموراً كثيرة من اعمالهِ القاسية وانها جآءت مع سيدتها منذ سنة ونصف فوصلت الى انكلترا في شهر يوليو ورآها السير اوستاس فاحبها واحبتهُ وقد غرها ما رأتهُ فيهِ لاول وهلة من الجمال والمال والاسم الحسن فاقترنت بهِ ولم تمضِ على زواجهما ايام حتى رأتهُ كما هو فندمت حين لا ينفع الندم ولكنها صبرت على مضض البلوى وكانت تستر اعمالهُ جهدها . ثم طلب شرلوك ان يرى سيدتها فقادتنا الى غرفتها وهي تقول بربكما لا تطيلا حديث الواقعة امامها فقد حملت من ذكرها ما يكفي . ولما دخلنا الغرفة وجدنا اللادي براكنستال على المقعد الذي كانت عليهِ في الصباح وعند مشاهدتنا قالت هل اتيتما لكي تستنطقاني ثانيةً . فقال شرلوك كلا يا مولاتي وانما جئتك سرًّا كصديقٍ يودّ مساعدتك اذا شئت ولكني اول كل شيء اودّ ان تقولي لي الحقيقة بصراحة . قالت لا يوجد غير ما قلتهُ لك . قال وانا اؤكد لكِ يا مولاتي ان كل ما قلتهِ في الصباح لم يكن الا روايةً مختلقة . ونظرتُ فاذا السيدة وخادمتها قد تغير لونهما فصاحت

الخادمة اخرس ايها الوقح او تتجاسر على تكذيب مولاتي . فلم يجبها شرلوك بكلمة ولكنهُ نهض فالقى الى اللادي براكنستال نظراً احد من السهم وقال انصح لكِ يا مولاتي ان تثقي بي وتطلعيني على الحقيقة بتمامها . فترددت اللادي و بان عليها الارتباك ولكنها تجلدت وقالت لا جواب عندي غير ما قلتهُ لك قبلاً . فاخذ شرلوك قبعتهُ وانصرف فتبعتهُ وهما تنظران الينا وكان عند باب القصر شبه بحيرة صغيرة قد تجلدت المياه على وجهها من شدة البرد وكان في وسط ذلك الجليد قطعة صغيرة منهُ قد ذابت وتكسرت فوقف شرلوك ينظر اليها ثم اخذ من جيبهِ ورقة كتب عليها بضع كلمات واعطاها للخادم وقال لهُ اذا رجع المفتش هوبكنس فاعطهِ هذه

وتوجه بي شرلوك بعد بلوغنا لندن الى شركة البواخر الاسترالية فطلب مواجهة المدير ثم اخذ الاثنان يبحثان في الدفاتر والسجلات فوجدا اسم الباخرة جبل طارق التي اتت من استراليا في يونيو سنة ١٨٩٥ وانهُ كان من جملة المسافرين عليها السيدة ماري فريزر وخادمتها تريزا وان نوتية الباخرة لا يزالون كما كانوا في ذلك الوقت سوى واحد منهم وهو ثاني الربان واسمهُ كروكر فانهُ رقي الى رتبة ربان وأعطي باخرة اسمها الصخرة وستقلع بعد يومين من سوثمبتون . وسأل شرلوك عن صفات هذا الرجل فقيل لهُ انهُ رجلٌ قويُّ البنية حسن السلوك ابيُّ النفس شريف الطبع لا يبارَى في قوة العزم واصالة الرأي . فشكر شرلوك المدير وخرج فرأيتهُ مطرقاً برأسهِ الى الارض ثم قال لي يخطر في بالي يا وطسن ان ادلّ هوبكنس على غريمهِ. ولكن لا فاذا عرّفتهُ باسمهِ لا تعود توجد طريقة لخلاصهِ وفي قانون الشريعة ما يخالف احياناً صوت الضمير فان نفسي لا تساعدني على تسليم القاتل حتى الآن . ولما بلغنا منزلنا في شارع باكر وجدنا هوبكنس في انتظارنا فاستقبلنا بقولهِ اعوذ بالله من مهارتك يا شرلوك افأنت ساحر فكيف عرفت ان الاواني الفضية المسروقة مخبوءة في مياه البحيرة تحت الجليد . فانهُ لما وصلتني تذكرتك اسرعت الى البحيرة وفحصت غور المياه حيث خار الجليد فوجدت الاواني الفضية كما هي فلا انكر انك

خدمتني خدمةً عظيمة بهذا الاكتشاف ولكنك سببت لي ارتباكاً اشدّ لانهُ ما هو الداعي للصوص ان يدخلوا المنزل تحت الخطر ويقتلوا الرجل ويقيدوا المرأة ليسرقوا بعض اوانٍ فضية فيأخذوها ويلقوها في بحيرة ضمن حديقة القصر . فقال شرلوك وهذا ما جعلني اظن ان الاواني الفضية انما أُخذت لتحويل التهمة الى سرقة وهي في الحقيقة غير ذلك . فقال هوبكنس ومما يزيد ارتباكي في هذا الحادث خبرٌ سمعتهُ اليوم وهو ان رندل وولديهِ قد قُبض عليهم صباح امس في نيويرك ففي هذا ما يؤكد انهم ليسوا الفاعلين في جناية امس . غير ان ذلك لا يمنع وجود عصابة اخرى تشبههم فلست بمستريح قبل ان اقبض على اعناقهم بيدي . فقال شرلوك اذهب وابذل جهدك ايها العزيز واني من صميم القلب اتمنى لك الفوز والنجاح واذا رأيت ما يستدعي مساعدتي فتيقن اني ابذل جهدي لخدمتك

وكان شرلوك في اثناء رجوعنا الى البيت قد ارسل رسالة برقية لم اعلم وجهتها فبعد ان خرج هوبكنس وخلونا في غرفتنا قال لي لقد كدت اطلع هوبكنس على الحقيقة ولكن ضميري لا يزال يمنعني لان الذي اعلمهُ انا غير رسمي وما يعلمهُ هو يصير رسمياً على اني لا اجد بدًّا من كتم الامر الى ان استوضحهُ على حقهِ . فقلت لهُ ومتى تظن انك تتمكن من ذلك . فنظر الى ساعتهِ ثم قال بعد دقائق قليلة

ولم تمضِ عشر دقائق على كلامهِ هذا حتى سمعنا وقع اقدام على السلم ثم فتح باب الغرفة فدخل منهُ فتى لم ارَ بين كل من عرفتهُ اجمل منهُ هيئةً وقواماً وهو طويل القامة ازرق العينين اشقر الشار بين وقد صبغت حرارة الشمس وجههُ بلون حنطي . فلما دخل اغلق الباب ورآهُ ووقف امامنا فقال لهُ شرلوك اهلاً بالربان كروكر تفضل وخذ هذا الكرسي . فجلس الرجل وقال بلغتني رسالتك فجئت اليك في الساعة التي عينتها لي وقد بلغني انك ذهبت الى ادارة الشركة وسألت عني فقل لي ماذا تريد او اقبض عليّ ان شئت ولا تعذبني بسكوتك . فتبسم شرلوك وقال خفّض عنك ايها العزيز فلو علمت انك من القتلة الادنياء لما قبلتك في منزلي قط ولكنني اطلب اليك ان تخبرني بحادثة امس بكل تفاصيلها ولا بد من ابلاغك

انني اعرف الحقيقة ولا يعرفها سواي وفي استطاعتي ان اخفيها الى ما شآء الله او ان اشهرها فاسلمها الى دار الشحنة فاكرر عليك ان تقول الحقيقة فقط فاذا صدقتني امنت واذا حاولت ان تغشني فالويل لك

فصمت الرجل حيناً وهو غائصٌ في التأملات والانفعالات النفسانية ثم قال اني اثق بوعدك يا مولاي واسلم نفسي اليك فخذ مني الحقيقة كما هي وكما يشهد الله بصحتها . ولا تظن اني ندمت أو خفت مما فعلت بل اني افعلهُ ثانيةً اذا وُجدت في مثل الحال التي دعت اليهِ ولو كان لهذا اللعين أوستاس سبعة ارواح لقتلتهُ سبع مرات وارحت العالم من شرهِ وخصوصاً ذلك الملك اللطيف السيدة ماري فريزر ولا ادعوها اللادي براكنستال لانها اشرف من ان تتلطخ بوصمة اسمهِ . واني سأطلعكما على قصتي واستنزل حكمكما فيها راجياً ان تحسبا انفسكما في مكاني وتقولا لي هل كنتما تفعلان غير ما فعلت . انني اول مرة رأيت فيها السيدة ماري فريزر كانت عند ما سافرَت في باخرتنا من استراليا الى هنا وكنت حينئذٍ ثاني الربان واول ما وقع نظري عليها صمّمت على ان تكون لي او ان لا اعرف امرأة في العالم . وكانت كلما مرت علينا ساعةٌ يزداد حبي لها وكثيراً ما كنت اجثو في وحدة الليل على ظهر الباخرة فاقبّل الاخشاب التي كانت تطأها قدماها الا انني لم اعترف لها بمحبتي وكانت تعاملني بلطف عظيم ومودة كما تعامل السيدة الشريفة فتى شريفاً . فلما بلغنا انكلترا نزلَت مع المسافرين وربما نسيتني اما انا فلم أنسها وقد صرت لها عبداً

ولما رجعت في السفرة الثانية علمت انها تزوجت فلم ابتئس من ذلك لعلمي بانها قد حصلت على اسم شريف وغنى وافر بل من شدة محبتي لها فرحت لها بهذه النعمة لانها والحق يقال خيرٌ لها من الاقتران بفتوتي فقير مثلي . فلما جئت في السفرة الثالثة رأيت خادمتها تريزا فاخبرتني عن حالة سيدتها وسوء معاملة زوجها فكدت افقد عقلي . وكنت قد رقيت الى رتبة ربان فأُذن لي ان اصرف شهرين هنا الى ان تتجهز باخرتي الجديدة فكنت اقابل تريزا وكلما حدثتني عن فظائع سيدها

ومعاملاتهِ لمولاتها تطير نفسي شعاعاً فاكره هذا الوحش الضاري الذي لا يستحق ان يلمس بشفتيه نعلي زوجتهِ . ثم اتفق ان قابلت ماري نفسها على غير انتظار فلم تذكر لي شيئاً غير ما كانت تحادثني بهِ على ظهر المركب ثم طلبت اليّ ان لا اسعى في مشاهدتها بعد . وعلمت من تريزا ان سيدتها تصرف اكثر لياليها في القرآءة في غرفتها وتعرفت منها صفة البيت وغرفهُ فلما قرب موعد سفري صممت ان ارى ماري للمرة الاخيرة فذهبت بالامس واقتربت من غرفتها فضربت على زجاج النافذة ورأتني فلم تشأ ان تفتح ولكنني علمت انها تحبني جدًّا ولو أخفت ما بها . وكانها أشفقت عليّ من وقوفي في البرد خارجاً فأشارت ان اوافيها الى غرفة الطعام وكانت نافذتها مفتوحة فدخلت منها . وجرى بيننا حديث الزمها ان تخبرني عن معيشتها فجعلت تقص عليّ عن زوجها ما اثار دمي وافقدني رشادي . وفي تلك الساعة فتح باب الغرفة فدخل منها زوجها وقد اعماهُ المسكر فجعل يناديها باقبح الاسماء والشتائم ثم اقترب بعصاهُ وضربها مراراً . فلم استطع احتمال ذلك ولا اعلم ما ذا كنتما تفعلان لو كنتما في مكاني . فتناولت قضيباً حديديًّا كان بقرب المستوقد وضربتهُ على ام رأسهِ وانا لا ادري ماذا افعل فرأيتهُ ساقطاً تحت قدميّ ولم يتحرك

وسمعت الخادمة شيئاً مما جرى فاسرعت الى الغرفة وكانت ماري قد اوشك ان يغمى عليها لذلك المشهد . ورأيت بالقرب مني زجاجة خمر ففتحتها بسكيني وسكبت شيئاً في فم ماري وشربت انا ايضاً شيئاً منها. اما تريزا فسرَّت بما جرى وساعدتني على اخفآء الامر بتحويل التهمة الى اللصوص ولفقت رواية علمتها لمولاتها بينما كنت اقطع حبل الجرس. ثم جمعتُ شيئاً من الاواني الفضية بقصد ايهام السرقة واوثقت ماري الى الكرسي واوصيتهم ان يستغيثوا بالخدم بعد خروجي بربع ساعة ولما خرجت القيت الاواني الفضية في البحيرة لاتخلص منها . فهذا ما جرى اقولهُ امام الله وامامكما بمنتهى الاخلاص والصدق فان رأيتما في عملي ما يدل على الدنآءة والجرم فانا بين ايديكما

ولما انتهى نهض شرلوك اليهِ فصافحهُ قائلاً انا اؤكد انك اخبرتنا الحقيقة

لانني عرفت من نفسي كل ما تلوتهُ علينا وربما لم تسمع عني يا كروكر والا لما كنت تستغرب مني مثل هذه الاكتشافات . فقال لا شك ان هذا مما لم اكن اتوقعهُ لاننا دبرنا الامر على وجه لا تقدر رجال الشحنة على كشفهِ . فقال شرلوك انهم لم يكشفوا ذلك يا كروكر ولن يكشفوهُ واني لا انكر ان الامر في غاية الاهمية وان كنت لم تفعل ما فعلت الا مدفوعاً بعواطف شريفة توجد في صدر كل انسان كريم ولكن بما انني لست قاضياً فلا ادخل في محاكمتك وقد شعرت بميلٍ خاص الى صفاتك فاذا شئت ان تتوارى عن العيون الى مدة اربع وعشرين ساعة من الآن فأعدك انني لا اقف في طريق سفرك واذا سافرت وأمنت على نفسك من العودة الى هنا اخبرت الشحنة بالامر

وما سمع كروكر هذه الكلمات حتى اصفرّ وجههُ ثم وقف وقد استشاط غيظاً وقال أتظنني اجهل ان الحكومة تعتبر ماري شريكتي في الجرم أو تظنني نذلاً الى هذه الدرجة حتى اتركها تقارع الخطوب بعد ان افوز انا بالنجاة . كلا يا مولاي فها انا متوجهٌ لاسلم نفسي الى الحكومة ولكني استحلفك بشرفك ان تحافظ على اسم ماري فلا تشركهُ معي في هذه الجريمة . فتبسم شرلوك وتقدم اليهِ فصافحهُ ثانيةً وقال لهُ انما قلت ذلك لامتحن اخلاصك لها يا كروكر ولست اجهل انهُ سيكون عليَّ تبعة ثقيلة في اطلاق سراحك ولكنني لا اعتقد ان القضاة اوفر عقلاً مني ومن صديقي وطسن فلنعقد معاً جلسة قانونية نحاكمك فيها فيا وطسن بصفة كونك قاضياً في هذه الجلسة وقد سمعت اقرار المتهم بماذا تحكم . فصحت فوراً احكم ببرآءتهِ . فقال شرلوك ليكن كذلك فقد حكمنا ببرآءة ساحتك يا كروكر ونعدك اننا لن نذكر شيئاً مما حصل وانا لست بملومٍ امام هو بكنس فقد اظهرت لهُ عدة أدلة لم ينتفع بها ولا انتبه اليها . اما انت فعد بعد سنةٍ الى ماري التي لا تزال تحبك وعسى ان تكون ايامكما المستقبلة أياماً سعيدة تبرهن لنا ان حكمنا لم يكن في غير محلهِ